

روضة الريادة العالمية

"حين وقفت الطفولة على المسرح ... وبدأت الحكاية"

قبل أن تُفتح الستارة

في ظهيرة الدوحة- قطر- السبت 06 يونيو 2026، كان المسرح لا يبدو كأنه مكان جاهز لحفل... بل كأنه صدرٌ كبيرٌ يحتبس أنفاسه قبل أن يقول شيئاً مهماً في الحياة. "بيتا كامبريدج" لم تكن مجرد قاعة، بل مساحة معلقة بين ما كان وما سيحدث، وكأن الزمن نفسه قرر أن يتوقف احتراماً لما سيولد هنا. على المقاعد، جلس الآباء والأمهات بصمت مختلف... ليس صمت انتظار عادي، بل صمت من يعرف أن أبناءه سيخرجون من لحظة إلى أخرى بشكل جديد. كانت العيون تتحرك أكثر من الأجساد، كأن كل نظرة تبحث عن طفلها حتى قبل أن يظهر.

في الداخل، كانت المعلمات يتحركن كأنهن يُدرن قلباً واحداً لا يرى. وراء كل ابتسامة هادئة، هناك شهر كامل من التدريب، التكرار، التصحيح، والتعب الذي لا يُقال. لكن الغريب... أن المكان لم يكن متعباً، بل كان ممتلئاً بشيء يشبه الطمأنينة، كأن التعب هنا يتحول إلى جمال. وحين أغلقت آخر باب من أبواب التحضير، لم يعد أحد يسأل: "هل سيكون الحفل جميلاً؟" بل أصبح السؤال في الصدور: "كيف سنحتمل جماله حين يبدأ؟"

لحظة الميلاد الأولى للحفل

ثم جاءت اللحظة التي لا تُكتب، بل تُشعر. صوت عريفة الحفل ارتفع... ليس كإعلان بداية، بل كفتح نافذة على عالم جديد. كلمات الترحيب لم تكن جملاً محفوظة، بل كانت يدًا خفية تلمس قلوب الحاضرين وتقول لهم: "أنتم هنا في المكان الصحيح، في اللحظة الصحيحة". في تلك اللحظة، تغير شكل القاعة. لم تعد مقاعد وجمهوراً... بل أصبحت دائرة واحدة من القلوب التي تنصت. ثم جاء القرآن... بصوت طفل صغير. لم يكن مجرد تلاوة، بل كان دهشة تمشي على الأرض. صوت يرتجف قليلاً، لكنه يثبت شيئاً أكبر من عمره: أن النور لا يحتاج عمراً ليُقال. سكون القاعة لم يكن احتراماً فقط، بل كان انكساراً داخلياً جميلاً، كأن كل من في المكان تذكر لحظة بدايته الأولى مع الحياة. حتى الهواء بدا أبطأ... كأنه لا يريد أن يقطع هذا النقاء. وعندما انتهى الصوت، لم يحدث تصفيق فوراً... بل حدث شيء أعمق: صمت ممتلئ بالإيمان بأن هذا الحفل لن يكون عادياً أبداً.

النشيد الأميري... حين تقف الهوية

ثم ارتفع النشيد الأميري. في لحظة واحدة، لم يعد أحد جالساً كما كان. الأجساد وقفت، لكن الأهم أن شيئاً داخلياً وقف أيضاً: الشعور بالانتماء. الأطفال لم يفهموا كل معنى الكلمات، لكنهم فهموا شيئاً أعمق: أن هناك أرضاً تستحق أن تُنشد، وسماء

تستحق أن تُحترم، ووطنًا يُقال بصوت مرتفع. الآباء لم ينظروا إلى المسرح فقط... بل إلى شيء أبعد، كأنهم يرون في هذه اللحظة صورة مستقبل أبنائهم وهم يكبرون داخل هذا الانتماء. وفي الزاوية، كانت المعلمات ينظرن بصمت... كأنهن لا يحتفلن فقط، بل يرين نتيجة جهد طويل لا يرى في العادة. وحين انتهى النشيد، لم يكن الصمت عاديًا... بل كان صمت من لمس شيئًا أكبر من الكلمات.

نجوم الروضة على المسرح

“والآن... نرحب بنجوم الحفل”. الجملة بدت بسيطة... لكنها فتحت بابًا لمشهد لن يُنسى. دخل الأطفال. لم يدخلوا كفريق منظم فقط، بل دخل كل طفل كقصبة صغيرة تمشي على قدمين. بعضهم يضحك، بعضهم يبحث عن وجه مألوف، وبعضهم يمشي وكأنه يختبر الأرض لأول مرة أمام هذا العدد من العيون. لكن الغريب... أن كل ارتباك كان جميلًا. لأن هذا الارتباك هو الحقيقة. في الخلف، كانت المعلمات تتحرك كظلّ حنون لا يرى بسهولة. كل يد تُصلح لباس طفل، كل نظرة تطمئن، كل إشارة تُعيد طفلًا إلى مكانه... كانت جزءًا من لوحة أكبر لا يراها الجمهور كاملة. الآباء كانوا يصفقون، لكن داخلهم شيء آخر يحدث: كانوا يرون أبنائهم لأول مرة ليس كأطفال فقط، بل كأشخاص قادرين على الوقوف أمام العالم. وفي تلك اللحظة... لم يعد المسرح مسرحًا. بل أصبح مرآة تُظهر ما كان سيأتي لاحقًا.

كلمة الطفلة... حين تتكلم البراءة

وقفت طفلة صغيرة. لم تكن تحمل ورقة كبيرة، ولا خطابًا معقدًا... بل كانت تحمل قلبًا صغيرًا قرر أن يتكلم. قالت جملتها البسيطة... لكنها سقطت في القاعة كأنها شيء أكبر من الكلمات: “قلوبنا تحمل الحب لكم”... لم يفهم البعض كيف لطفلة بهذا العمر أن تقول هذا المعنى بهذا الصفاء. لكن الحقيقة أن الطفولة لا “تقول”... بل “تكشف”. في تلك اللحظة، انكشفت القلوب الحاضرة أكثر مما تكلمت الطفلة. بعض الأمهات ابتسمن ودموعهن تسبق الابتسامة. وبعض الآباء سكتوا فجأة، كأنهم سمعوا شيئًا لا يُقال مرتين في الحياة. وكانت المعلمات في الخلف ينظرن بصمت مختلف... صمت يقول: “هذا هو التعب الذي يستحق أن يُعاش”.

فلسفة بناء الإنسان

عندما اعتلت مديرة الروضة منصة الحديث، لم يكن صوته مرتفعًا... لكنه كان عميقًا إلى درجة جعلت القاعة كلها تميل نحوه دون أن تشعر. لم يكن يتحدث عن “روضة”، بل عن فكرة أكبر من المكان: كيف يُصنع الإنسان قبل أن يُعلم؟ كانت كل جملة تخرج منها كأنها حجر يُلقى في ماء هادئ... فتتشكل دوائر في القلوب لا في الهواء. تحدثت عن الطفولة لا كمرحلة، بل كبداية مصير، عن التعليم لا كمنهج، بل كمسؤولية وجود. وفي الخلف، كانت المعلمات يستمعن بصمت مختلف... صمت من يعرف أن كل كلمة تُقال الآن، هنّ كنّ يكتبنها بالفعل طوال الشهور الماضية دون أن تُقال. الآباء لم يصفقوا كثيرًا...

لأن الكلام هنا لم يكن يحتاج تصفيقًا، بل يحتاج تأملًا. وكأن القاعة كلها بدأت تدرك فجأة أن ما يحدث ليس احتفال تخرج... بل حفل إعلان ولادة جيل.

الجسر التعليمي

ثم جاء صوت المدرسة الشريكة "بيتا كامبريدج..." لكن هذه المرة لم يكن الحديث عن مؤسسة تعليمية، بل عن جسر غير مرئي يمتد بين العقول والثقافات. كان الشرح بسيطًا في ظاهره، لكنه عميق في جوهرة: أن التعليم لا يعيش داخل جدران مغلقة، بل في انفتاح على العالم. في قدرة الطفل على أن يرى نفسه جزءًا من صورة أكبر. وفي تلك اللحظة، بدا المسرح كأنه ليس في الدوحة فقط... بل في نقطة التقاء بين عالمين: الطفولة والعالم. الأطفال لم يفهموا كل المصطلحات، لكنهم شعروا بشيء واحد: أنهم أكبر من أعمارهم قليلًا، وأن ما يتعلمونه اليوم ليس للغد فقط... بل للحياة كلها. وكان هناك إحساس خفي في القاعة... أن هذه الروضة لا تُخرج أطفالًا إلى مدرسة... بل تُخرجهم إلى العالم.

الرسول قدوتي... حين تمشي القيم على أقدام صغيرة

ثم جاء المشهد الذي سكن القلوب قبل العيون. "الرسول قدوتي"... خرج الأطفال واحدًا تلو الآخر، لا ليحفظوا كلامًا، بل ليجسدوا معاني: رحمة... حب... كرم... مساعدة... صدق... حسن خلق... كان كل طفل كأنه يلتقط صفة من النور ويضعها في صوته الصغير. لم يكن الأداء مسرحيًا... بل كان أقرب إلى "إعادة اكتشاف المعنى". وفي لحظة ما، لم يعد الجمهور يرى أطفالاً على المسرح... بل رأى فكرة التربية وهي تتحول إلى حياة. حتى الصمت بين الكلمات كان يتكلم. صمت يقول: "هكذا تُزرع القيم... لا تُلقن". وفي الخلف، كانت بعض المعلمات يخفين دموعًا لا تشبه التعب... بل تشبه الفرح حين يصل إلى قمته.

حين يغني الأطفال للحب

ثم ارتفعت الأناشيد. لكن هذه المرة لم تكن الأناشيد مجرد أصوات... بل كانت قلوبًا صغيرة تُجرب أن تُحب بصوت مسموع. "علمتنا المحبة"... | رسول السلام"... "قربنا إلى الله"... كل جملة كانت تخرج وكأنها ليست محفوظة، بل مُعاشة. الأطفال لم يغنوا لأنهم أمروا... بل لأن شيئًا داخلهم كان يريد أن يُقال. وفي القاعة، حدثت ظاهرة غريبة: الأمهات لم يعدن يصفقن فقط... بل أصبحن يغنين بصمت داخلي مع أبنائهن. كانت لحظة تداخل بين جيلين: جيل يتعلم... وجيل يرى نفسه في التعلم.

الشجرة التي تتكلم

ثم جاءت قصيدة "الشجرة". لكنها لم تكن عن شجرة... كانت عن الإنسان وهو ينمو دون أن يشعر. كل طفل وقف وكأنه غصن صغير في حكاية الحياة. كل حركة يد كانت كأنها ورقة جديدة تُولد. والأجمل... أن المعنى لم يكن يُشرح، بل يُرى. كيف ينمو الطفل؟ كيف يتغير؟ كيف يصبح مختلفًا دون أن يفقد براءته؟ وفي الخلف، كانت إحدى الملاحظات تبتسم بصمت... كأنها تقول في داخلها: "هذه الشجرة زرعناها نحن... لكن ثمارها ليست لنا فقط".

حين يصبح الحساب إيمانًا بالقدرة

لكن ما ظهر على المسرح لم يكن مهارة رقمية فقط، بل كان دهشة تتشكل أمام العيون. أطفال صغار يجيبون بسرعة، بدقة، وبتركيز يجعل القاعة تميل بصمت نحوهم، وكأن العقول تراقب ما يحدث قبل أن تُصدّقه. الأرقام لم تكن أرقامًا جامدة، بل بدت وكأنها تتحرك في أذهانهم بانسياب لا يُفسّر بسهولة. وفي لحظة ما، لم يعد السؤال: "كيف يحسبون؟" بل أصبح السؤال أعمق: "كيف وُلد هذا التركيز في هذا العمر؟" لكن المشهد لم يتوقف عند الحساب الذهني فقط...

فقد امتد إلى فقرة أخرى أكثر عمقًا وهدوءًا: ضبط التلاوة، واستخراج الأحكام، والقراءة بالطريقة النورانية ونور البيان. هنا تغير الإحساس داخل القاعة بالكامل. لم يعد الأمر تدريبًا على مهارة، بل بدا وكأنه تدريب على الإنصات للنور قبل الحرف، وعلى فهم الكلمة قبل نطقها. أطفال يقرؤون الآيات، يراعون مخارج الحروف، ويتعاملون مع النص القرآني لا كأصوات تُتلى فقط، بل كمعاني تُحترم وتُصان. كان في الأداء شيء من الطمأنينة العجيبة... كأن القرآن نفسه يعلمهم كيف يُقال، لا العكس فقط. وفي تلك اللحظة، لم يعد الحضور ينظر إلى "تعليم" بمعناه التقليدي، بل بدأ يدرك أن ما يُصنع هنا أعمق: بناء علاقة مبكرة بين الطفل والكلمة النورانية، بين العقل والقلب، بين الفهم والتلقي.

كان المشهد هادئًا، لكنه شديد العمق... حتى التصفيق بدا أقل من أن يوازي حجم الدهشة. وفي عيون بعض الحاضرين، ظهر سؤال صامت لا يُقال: كيف يمكن لطفل أن يجمع بين سرعة الحساب، وصفاء التلاوة، ودقة الانتباه... بهذه البراءة؟ لكن الإجابة لم تكن في الكلمات... بل كانت واقفة هناك على المسرح، تتكلم بصوت صغير، لكنها تحمل أثرًا كبيرًا: أن القدرة لا تُولد كاملة... بل تُبنى حين يُحسن زرعها في وقتها الصحيح.

الطفل الذي أصبح مذياعًا

في لحظة لم يكن أحد يتوقعها، خرجت طفلة صغيرة إلى المنصة، لا لتؤدي فقرة محفوظة، بل لتكون "صوتًا للعالم الصغير الذي بداخلها". كانت تمسك الميكروفون وكأنها تمسك حلمًا أكبر من يديها، ثم بدأت تسأل... وتسأل فقط. سألت طبيبًا، مهندسًا، شريطيًا، طيارًا، وفنانًا... لكن الأسئلة لم تكن عادية، بل كانت بريئة إلى درجة تُخرج الكبار من تعقيدهم. كل إجابة

كانت تفتح نافذة جديدة في ذهن الحضور: أن الطفل لا يحتاج أن يُلقن العالم، بل أن يُسمح له أن يراه. وفي الخلف، كانت المعلمات ينظرن بصمت فخور... كأنهن يشاهدن ثمرة سنوات من تحويل الخجل إلى جرأة، والجهل إلى فضول، والخوف إلى سؤال.

قطر في أعين الأطفال

ثم جاءت فقرة الوطن... لكنها لم تكن نشيداً فقط، بل كانت "انتماءً حياً". الأطفال يغنون لقطر... لكن ما كان يُسمع في الحقيقة ليس كلمات، بل إحساس بالبيت الكبير. كانت أصواتهم صغيرة، لكن معناها كبير: أنهم ينتمون إلى أرض تعلموا فيها أن يحلموا. وفي عيون الآباء، لم يكن المشهد مجرد أداء... بل كان انعكاساً لمستقبل يُبنى أمامهم بصوت أطفالهم. كانت قطر هنا ليست مكاناً... بل فكرة تُغنى.

العطاء... سر السعادة

"العطاء سر السعادة"... جملة بسيطة، لكنها خرجت من المسرح كقانون حياة. الأطفال يغنون، يتحركون، يبتسمون... لكن المعنى الحقيقي كان أعمق: أن السعادة ليست ما نأخذه من الحياة، بل ما نتركه فيها. وفي تلك اللحظة، بدا أن الحفل كله يتحول من عرض إلى درس إنساني صامت. درس لا يُكتب على لوحة، بل يُكتب داخل القلب مباشرة. وكان في عيون بعض الحضور شعور غريب... أنهم هم أيضاً يتعلمون من الأطفال، لا العكس فقط.

فلسطين في قلب الطفل

ثم جاء المشهد الذي سكنت عنده القاعة قليلاً قبل أن تفهم عمقه. مسرحية فلسطين... لم تكن مجرد تمثيل، بل كانت إدراكاً مبكراً لمعنى الإنسان. الأطفال تحدثوا عن المقاطعة، عن العدالة، عن الألم... لكنهم فعلوا ذلك ببراعة لا تحمل كراهية، بل تحمل وعياً نقياً بالحق. وفي تلك اللحظة، لم يعد أحد ينظر إلى المسرح كعرض... بل كمرآة تُظهر أن الطفل قادر على أن يشعر بالعالم قبل أن يفهمه بالكامل. وكان الصمت هذه المرة مختلفاً... صمت احترام، لا صمت دهشة فقط.

حين يصبح الحفل روحاً تمشي بين الناس

لم يكن ما يجري في القاعة مجرد تنظيم دقيق، بل كان حالة إنسانية كاملة تمشي بين المقاعد والمسرح وخلف الستار، كأن هناك روحاً واحدة توزعت على وجوه كثيرة. على المسرح، كان الأطفال يتألقون، لكن خلف هذا التألق كانت هناك أيادٍ لا تُرى، تُمسك الخيوط بلطف حتى لا ينكسر شيء من الجمال. وفي خلف الكواليس، لم يكن هناك توتر... بل طمأنينة صامتة يصنعها فريق يعرف أن التفاصيل الصغيرة هي التي تحفظ الصورة الكبيرة. وفي الصالة، كان المشهد مختلفاً لكنه مكمل: أمهات وآباء يتحركون من مقاعدهم بخفة واندھاش نحو أبنائهم على المسرح، وكأن الحدود بين الجمهور والعرض قد تلاشت في لحظة إنسانية صافية. لا أحد يشعر بالغرابة، ولا أحد يشعر بالمسافة... الجميع في دائرة واحدة من الحب.

وكانت المشرفات والمعلمات يتقدمن بهدوءٍ راقٍ، يقتربن من الأمهات أو الآباء بكلمات قصيرة، لكنها محملة باحترام عميق وذوق عالٍ. حديث بسيط... لكنه يترك أثراً كبيراً: هنا لا يوجد توتر، لا يوجد تكلف... فقط تقدير متبادل، وحرص صادق على أن يكون هذا اليوم ذكرى جميلة لا تُنسى. لم يكن أحد يفرض النظام، بل كان الجميع يشارك في صنع الجمال... حتى الزمن نفسه بدا كأنه يسير ببطء احتراماً لهذه الروح التي ملأت المكان. وفي النهاية، لم يخرج أحد كما دخل... لأن الجميع كان قد لمس شيئاً لا يُرى، لكنه يُحس بعمق: أن الحفل الناجح ليس في ما يُقدّم... بل في "الروح التي تُقدّم بها الأشياء."

حين تتحدث الضيافة بلغة القلوب

لم يكن الكرم يومها على المسرح وحده، بل كان حاضراً في كل زاوية من زوايا المكان. فبين الفقرات، كانت الأيدي الطيبة تتحرك بخفة وابتسامات صادقة، تحمل المياه، أكواب القهوة العربية، وشاي الكرك، والشاي، وأطباق المعجنات ولقمة القاضي، وكأنها تقدم للحضور شيئاً من دفء البيوت قبل أن تقدم لهم الضيافة. لم يكن أحد يسأل أو يطلب، فحسن الاستقبال كان حاضراً قبل الطلب، والابتسامة كانت تصل قبل صينية الضيافة. وكان فريق الضيافة يعمل في هدوء وانسجام لافِت، ينتقل بين الحضور برقي واحترام، حتى بدا الأمر وكأن الجميع يتنافس على خدمة الضيف وإكرامه. وفي كل مرة كانت تُقدّم فيها القهوة أو يُجدد فيها الشاي، كان الحضور يلمسون معنى يتجاوز الكرم المعتاد، معنى يقول إن الاحترام بالإنسان لا يكون بالكلمات وحدها، بل بالعناية بالتفاصيل الصغيرة التي تترك أثراً كبيراً في النفس. وهكذا لم تكن الضيافة استراحة بين الفقرات، بل كانت فقرة جميلة بحد ذاتها، كتبها القلوب قبل الأيدي، وأضافت إلى الحفل مذاقاً من الألفة والمحبة سيبقى عالقاً في الذاكرة طويلاً.

حنو لا يُعلّم... بل يُمارَس

وفي زاوية أخرى من هذا العالم الجميل، كان هناك مشهد لا يقل عمقاً عن العروض نفسها، لكنه أكثر هدوءاً... وأكثر إنسانية. الأطفال على المسرح لم يكونوا دائماً ثابتين، كانوا كعادتهم: كثيري الحركة، صادقين في عفويتهم، أحياناً ينسون، وأحياناً بيتسمون، وأحياناً يلتفتون نحو شيء صغير يسرق انتباههم. لكن في كل لحظة، كانت هناك يد حانية تعيد ترتيب اللحظة دون

أن تُخرج البراءة. طفلة صغيرة، شعرت بأن شعرها ليس في أفضل حال... لم تُنهر، ولم تُستعجل، بل جاءت المشرفة بابتسامة هادئة، وأخذتها جانبًا، وعدّلت لها شعرها كما لو أنها ترتب زهرة لا يجب أن تُكسر. ثم أعادتها إلى المسرح كما تُعاد فكرة جميلة إلى مكانها الصحيح. وفي مشهد آخر، قبلة خفيفة على جبين طفل قبل صعوده... لم تكن قبلة عابرة، بل كانت رسالة أمان صامتة تقول: "أنت بخير... نحن معك".

أما المدير، فكانت صورتها مختلفة لكنها أعمق حضورًا... لم تكن بعيدة عن الأطفال حتى في لحظات التصوير، كانت تقترب من كل طفل، تمسح على كتفه أو رأسه بيدٍ تشبه الأم في كرمها وطمأنينتها، وكأنها تقول لكل واحد منهم: "أنت مهم... أنت مرئي... أنت حاضر في القلب قبل الصورة". وفي تلك التفاصيل الصغيرة، كان سرّ الحفل الحقيقي يُكتب دون إعلان. ليس في الأضواء، ولا في الكلمات... بل في هذا الحنو الذي لا يُدرّس، لكنه يُمارَس كقيمة أصيلة في كل لحظة. وحين تأملت القاعة هذا المشهد دون أن تنتبه له الكلمات، كان الشعور واحدًا: أن هذا المكان لا يدير حفلاً... بل يحتضن طفولة كاملة بكل ما فيها من حركة ودهشة وبراءة.

الأم... حين تصبح الوردة لغة لا تُقال

في تلك اللحظة، خفت الإضاءة قليلًا، وكأن المسرح يتهيأ لقول شيء لا يُقال بصوت مرتفع. وقف الأطفال، وكل واحد منهم يحمل وردة صغيرة... لكنها لم تكن وردة بالمعنى العادي، بل كانت امتدادًا صغيرًا لكل ما لم يستطع الطفل أن يقوله طوال العام: حب، امتنان، ودهشة من أم صبرت، وربّت، وانتظرت دون أن تسأل عن مقابل. يتقدّم الطفل خطوة... ثم خطوة أخرى. لكن الحقيقة أن ما كان يحدث لم يكن مشيًا على المسرح، بل عبورًا نحو قلب الأم. وفي الجهة الأخرى، كانت الأمهات واقفات أو جالسات، لكن لا أحد في مكانه الحقيقي تمامًا، فالمشاعر كانت قد سبقت الجسد. وحين وصل الطفل إلى أمه، لم تكن هناك جملة محفوظة، ولا خطاب مُعدّ... كان هناك فقط صوت صغير يقول ما يعجز عنه العالم كله في كلمات قليلة: "أمي... أنت حياتي".

في تلك اللحظة، لم يعد هناك تصفيق واضح، بل اختلط الصوت بالبكاء، بالابتسامة، بالذهول الصامت. أم تحتضن طفلها كأنها تعيد اكتشافه من جديد، وطفل يظن أنه يعطي وردة، بينما هو في الحقيقة يعطي قلبه كاملاً. وفي الخلف، كانت بعض الملاحظات يقفن بصمت مختلف... صمت من يعرف أن هذه اللحظة لم تُصنع في هذا اليوم فقط، بل صُنعت في كل يوم تعب، وكل صباح تدريب، وكل دمعة صبر لم يرها أحد. كان المشهد أكبر من أن يُختصر في "فقرة تكريم..." كان إعلانًا غير مكتوب بأن الحب حين يُربّى جيدًا... يعود على هيئة إنسان.

لحظة التخرج... حين يعبر الطفل إلى نفسه الجديدة

ثم جاء النداء الأخير... أسماء تُتلى، ووجوه صغيرة تتقدّم نحو منصة التتويج. لكن الغريب أن كل طفل، وهو يصعد، لم يكن كما كان حين دخل هذا العام. هناك شيء تغيّر في الوقفة... في النظر... في الثقة التي بدأت تتشكّل بهدوء. الشهادة ليست مجرد

ورقة تُسلّم، بل كانت في الحقيقة إعلانًا صامتًا: أن مرحلة انتهت، وأن شيئًا جديدًا بدأ دون أن يُطلب الإذن. في كل تصفيق، كان هناك معنى مختلف: تصفيق على الجهد... على النمو... على الرحلة التي لا يراها إلا من عاشها من الداخل. وفي عيون الآباء، كان هناك شعور عجيب: فرحٌ كبير... لكنه ممزوج بشيء يشبه الحنين إلى الزمن الذي كان فيه الطفل صغيرًا جدًا، قريبًا جدًا، وبسيطًا جدًا. أما المعلمات، فكُنَّ ينظرن إلى المشهد وكأنهن يودعن جزءًا من أنفسهن... ليس حزنًا، بل فخرًا هادئًا، يشبه من يرى ثمرة عمره تقف أمامه كاملة. وحين انتهى آخر اسم، لم تنتهِ القصة... بل بدأت بصمت جديد. صمت يقول: "هؤلاء لم يغادروا الروضة... بل أخذوا الروضة معهم إلى المستقبل".

ما بعد انتهاء الحفل

انطفأت الأضواء شيئًا فشيئًا، وغادرت الأصوات خشبة المسرح، لكن شيئًا من الحفل ظلّ معلقًا في المكان. بدأت المقاعد تفرغ، وتفرقت الخطوات نحو الأبواب، بينما كانت القلوب أكثر ازدحامًا مما كانت عليه عند الحضور. حمل الآباء والأمهات أبناءهم وصورهم وذكرياتهم، وحملت المعلمات في أعينهن ارتياح الرحلة بعد اكتمالها، ورضا البذرة حين ترى أول ثمارها. أما المسرح الذي كان قبل قليل يضج بالحياة، فقد عاد إلى سكونه، لكنه احتفظ بين جنباته بسرّ جميل: أن بعض اللحظات لا تنتهي بانتهاء وقتها، بل تبدأ رحلتها الحقيقية في الذاكر

الخاتمة ... حين يبدأ الضوء ويبقى الأثر

حين انتهت آخر لحظة على المسرح، لم ينطفئ الحفل فجأة... بل بدأ ينسحب بهدوء، كأن الضوء نفسه لا يريد أن يقطع هذا الأثر بسرعة. المقاعد بدأت تخلو شيئًا فشيئًا، لكن القاعة لم تفرغ تمامًا؛ كان هناك شيء باقٍ لا يُرى، لكنه يُحس في كل زاوية. الأمهات خرجن وهن يحملن أطفالهن، لكن في الحقيقة كان الأطفال يحملون شيئًا أكبر: ذاكرة يوم لم يكن عاديًا، لحظة رأوا فيها أنفسهم بشكل جديد. والآباء كانوا يمشون بصمت مختلف، كأن كل واحد منهم يعيد ترتيب مشاعره داخليًا دون أن يجد الكلمات المناسبة لها.

أما المعلمات، فكُنَّ آخر من يغادر تقريبًا... ليس لأن العمل انتهى، بل لأن الأثر لا يُغادر بسهولة. شهر كامل من البناء، من التعب، من التكرار، من التفاصيل الصغيرة... كله اختصر في ثلاث ساعات، ثم بقي في القلب عمرًا أطول من الزمن نفسه. وفي الزاوية التي كانت قبل قليل ممتلئة بالتصفيق، صار هناك سكون جميل... سكون لا يعني الفراغ، بل يعني الامتلاء بعد الاكتمال.

لكن الحقيقة أن هذا الحفل لم يكن "حدثًا وانتهى..." بل كان سؤالًا بدأ في القلوب دون صوت: كيف يمكن لبيئة صغيرة أن تصنع هذا القدر من الإنسان؟ وكيف يمكن لطفل كان بالأمس يتردد، أن يقف اليوم واثقًا، يتكلم، يغني، يفهم، ويُدهش؟ الإجابة لم تكن في فقرة، ولا في عرض، ولا في مهارة... بل كانت في شيء أعمق: في الإيمان بأن الإنسان لا يُصنع دفعة واحدة، بل

يُبنى ببطء... بحب... وبإصرار لا يُرى لكنه يعمل في العمق. وحين غادرت آخر أسرة المكان، لم تغادر القصة. بقيت معلقة في المكان، في الذاكرة، وفي شيء خفي داخل كل من حضر. كأن الحفل يقول بهدوء: "أنا لم أنتهِ... أنا فقط تحولت إلى أثر".

كلمة أخيرة لا تُكتب عادة... لكنها تُحس

روضة الريادة العالمية لم تقدم حفل تخرج... بل قدمت لحظة صغيرة من المستقبل وهو يتشكل أمام الأعين. أطفال اليوم... لم يعودوا كما كانوا قبل دخول المسرح. ولا الآباء عادوا كما كانوا قبل الجلوس على المقاعد. ولا المعلمات عدن كما كنَّ قبل بداية الرحلة. كل شيء مرّ... لكن شيئاً لم ينتهِ. لأن بعض اللحظات لا تُغلق بانتهاء الوقت... بل تبقى مفتوحة في القلب، كأنها تُعيد تعريف معنى الحياة بهدوء.